المحيبس والبقلاوة نكهة رمضان

بغداد / المدى

على الرغم من ان شهر رمضان في العراق يأتي هذا العام وسط ظروف سياسية ومناخية صعبة، فان المجتمع البغدادي ما زال يتمسك بعادات وطقوس راسخة في هذا الشهر، الذي يستعد له اصحاب المحال الكبرى المتخصصة بصناعة وبيع الحلويات الرمضانية. وكما هو مألوف كل عام بدأت محال الحلويات في بغداد تشهد حركة دؤوبة قبل حلول الشهر المبارك حيث تلقى أصناف معينة من الحلويات اقبالا كبيرا لدى العراقيين.

ويرى ابو حيدر احد اشهر صانعي الحلويات في بغداد ان وظيفته تتطلب تحضيرا مبكرا في توفير المواد الضرورية لصناعة الحلويات من الدقيق والسكر والزيت والجوز والفستق واللوز بكميات كبيرة لكي يتمكن من احتواء الاقبال الشديد على محله كل عام وتلبية متطلبات زبائنه.

ومن انواع الحلويات التي يحرص العراقيون على احضارها يوميا الى منازلهم في رمضان "الزلابية" و"البقلاوة" و"القطايف" و"البرمة" واصناف أخرى عديدة، كما شهدت محال بيع هذه الحلويات مظاهر انواع جديدة مثل "زنود الست" في الاعوام الاخيرة.

ويقول ابو حيدر (٦٠ عاما) وهو يدير محلا كبيرا يشهد زحاماً يوميا "لشهر رمضان نسق متفرد لدينا في العراق على صعيد الاهتمام، قبل قدومه باسابيع وكلما يقترب، ترتفع مستويات الحركة في كل مكان يتصل بطبيعة الطقوس الرمضانية، ومنها صناعة الحلويات الخاصة بهذا الشهر". ويضيف "من هذه الطقوس المحببة لدى العراقيين الاقبال على محال بيع الحلويات الشهيرة في بغداد حيث يحرص الناس على شرائها يوميا، لكونها تشكل نكهة المائدة يستأنسون بها خلال السهرات الرمضانية ما يجعلنا نستنفر جهودنا لتجهيز المواد اللازمة في صناعة الحلويات في رمضان".

ويشير ابو حيدر الذي امضى في هذه الحرفة اكثر من ثلاثين عاما "في السنوات السابقة كانت المسابقات الرمضانية الشعبية تقام في جميع مناطق العاصمة سواء في الكرخ أم الرصافة، حيث يجتمع المتسابقون، القادمون من مناطق بغدادية عتيقة، في المقاهي للاشتراك في مسابقة المحيبس الشهيرة، بينما يقدم منظمو المسابقة الحلويات الى الحاضرين الذين يصل عددهم الى المئات، وهذا يجعل عملنا متواصلا طوال ايام الشهر".

ولعبة المحيبس المشتق اسمها من المحبس (الخاتم) لعبة جماعية شعبية تمارس في الاحياء والمقاهي الشعبية منذ مئات السنين ويتنافس فيها فريقان يمثل في العادة كل فريق حارة او محلة او منطقة ويضم اكثر من عشرة لاعبين ويصل احيانا الى المئات. وفي هذه اللعبة يخبئ احد الفريقين الخاتم بيد احد لاعبيه في حين يجب على الفريق الخصم ان يحزر عبر التفرس في الوجوه وملاحظة ردات فعل اللاعبين اين هو المحبس؟

وكانت المحال المتخصصة بصناعة وبيع الحلويات الرمضانية تبقي ابوابها مفتوحة حتى ساعات متأخرة من الليل وخصوصا تلك التي تنتشر في مناطق بغداد القديمة كالفضل والصدرية والاعظمية والكاظمية والكرادة. وكانت تنتشر ايضا في هذه المناطق المقاهي التي تبقى مفتوحة حتى وقت السحور ويجتمع فيها ابناء هذه الاحياء لتنظيم المسابقات الرمضانية المعروفة مثل 'المحيبس' وكان منظمو المسابقات الشعبية يقدمون الى المشاركين والجمهور الحلويات، لكن هذه المحال والمقاهي راحت تنحسر بسبب الحصار الاقتصادي الذي فرض على العراق في التسعينيات من القرن الماضي، والذي ادى الى ارتفاع اسعار المواد اللازمة لهذه الصناعة وانخفاض الدخل الشهري لأغلب العراقيين.

وبعد سقوط نظام صدام حسين عام ٢٠٠٣ انتعشت محال صناعة وبيع الحلويات مجددا، لتوفر المواد اللازمة لصناعتها من جهة، وازدياد قدرة العراقيين على التبضع من جهة اخرى، واتسعت المحال وعادت في جميع مناطق العاصمة، لكن المحال والمقاهي بدأت تقفل أبوابها بسبب تردي الاوضاع الامنية واقتصرت الجلسات الرمضانية على عدد محدود من المقاهي تفضل مغادرة الزبائن بوقت مبكر.

وعرفت بغداد اسماء شهيرة من معلمي صناعة وبيع الحلويات ابرزهم "جواد الشكرجي" و"باقر الشكرجي" و"فرج نعوش" و"السيد" وانتشرت محال هؤلاء في جميع مناطق بغداد في قسميها الكرخ والرصافة قبل ان تنحسر خلال الاعوام الاخيرة بسبب الاوضاع الامنية. ويقول علي هاشم/٣٥ سنة/ وهو احد العاملين في محل حلويات: "جميع الزبائن يرتبطون بنا عبر علاقات قديمة وهم يترددون علينا باستمرار لذا يفترض ان نقدم لهم ما يبحثون عنه في شهر رمضان وتلبية المتطلبات".

ويجيد علي كيفية جذب نظر الزبائن عبر ترتيب مميز لاطباق الحلويات المنتشرة في واجهة المحل وبطريقة تفتح الشهية وتثير الرغبة في الشراء. ويرى ان الاهتمام بالعرض في ميدان التجارة، مسألة حاسمة، سيما في مجال المأكولات، لأن التي تأكل هي العين.

رمضان أيام زمان في البصرة

مدفع الإفطار والفوانيس التي غابت في السنوات الأخيرة

جاسم داخل

بالرغم من بلوغه من العمر عتيا إلا إن زرزور مهدي (مواليد ١٩٢٣) يمتلك ذاكرة طرية، فهو شخصية اجتماعية معروفة بـ«زرزور أبو الحب» نسبة إلى بيعه الحب إلى جانب الجرزات (المكسرات) بدكانه في العشار وسط مدينة البصرة جنوب العراق منذ أكثر من نصف قرن، قال : «إن تقاليدنا الطيبة وموروثنا الفولكلوري الجميل والأعراف والقيم الكريمة التي تناقلتها الأجيال، إضافة إلى مباهج الجانب العبادي في شهر رمضان الكريم تقف اليوم بصلابة أمام الحداثة السريعة التي دخلت إلينا من دون استئذان،ابتداء من الستلايت وتنوع القنوات الفضائية وألعاب الـ«بليستيشن» وحتى الحاسوب والانترنت والرسائل النصية في الهواتف الجوالة».

وأضاف (إن هذه الوسائل المتطورة برغم أهميتها، فإنها عقدت الحياة البسيطة التي كنا نعيشها حيث الإلفة والمحبة واجتماع أفراد العائلة على سفرة واحدة للإفطار، والتنعم بالرزق الحلال والحمد والثناء للرحمن الرحيم(.

وأكد على أن «أجمل ما كان في الشهر الفضيل في البصرة أيام زمان هو تبادل أواني الطعام بين الجيران قبيل موعد الإفطار، وخاصة الأطعمة المتميزة التي تتباهى ربات البيوت بإجادة طبخها، مثل البرياني المفعم بروائح المطيبات والبهارات والتوابل الهندية وسمك الزبيدي الطازج والقباب المجفف ولقمة القاضي والهريسة وأنواع من حلويات التمر، إضافة إلى الإطباق التي ترسل بشكل يومي إلى الجوامع ودور العبادة لإفطار الصائمين من الفقراء المتعففين». وأشار إلى أن (البصرة في الثلاثينيات كانت بلا كهرباء وإنما هناك أعمدة تعلق عليها الفوانيس النفطية التي يقوم بإشعالها عامل يدور عليها بدراجته الهوائية، وخاصة في الشوارع الرئيسة المتفرعة من ساحة أم البروم التي تستضيف في أيام رمضان مدفع الإفطار).

وأضاف: «إن مسؤول المدفع كان شخصا يسمى محمد حيث يقوم وقت الظهيرة بجمع قصاصات القماش من محال الخياطين ويخلطها مع كمية من البارود ويضعها في مؤخرة سبطانة المدفع الذي كان يتخذ ركنا من حديقة الساحة التي كانت تسمى وقتذاك بحديقة الملك غازي، وعندما يسمع صوت المؤذن يشعل فتيل القماش ويسحب الحبل المثبت بالسبطانة، عند ذاك يطلق مدفع محمد قذيفته القماشية محدثاً دوياً مسموعا إلى مسافات بعيدة، فيسارع الناس إلى تناول إفطارهم".

وعلى ذكر مدفع الإفطار، تجمع المصادر على أن مدينة القاهرة بمصر كانت أول مدينة إسلامية أطلقت المدفع عند الغروب، إيذانا بالإفطار في شهر رمضان، وذلك عندما تم إطلاق مدفع الإفطار لأول مرة . عن طريق الصدفة . عند غروب أول يوم من شهر رمضان عام ٨٥٩ هـ. وقد حدث ذلك عندما أهدي إلى السلطان المملوكي «خوشقدم» مدفع، فأراد تجربته للتأكد من صلاحيته فصادف إطلاقه وقت المغرب بالضبط من أول يوم في رمضان، ففرح الناس اعتقادا أن هذا إشعار لهم بالإفطار وأن السلطان أطلق المدفع لتنبيههم إلى أن موعد الإفطار قد حان في هذه اللحظة.

وذهبوا إلى القاضي في اليوم التالي لينقل شكرهم للسلطان، وعندما علم السلطان بسعادتهم بذلك أمر بالاستمرار في ذلك وزاد على مدفع الإفطار مدفع السحور ومدفع الإمساك، وهكذا انتقل هذا التقليد إلى بقية المدن في العالم الإسلامي.

ويستذكر عماد محسن، ٥٤ عاما، جزءا من ألعاب الطفولة في رمضان المشبعة بالمتعة والفرح على حد توصيفه فقال: (بعد الانتهاء من الإفطار مباشرة يتجمع أطفال المحلة في زقاق يتوسط البيوت وقد هيأ كل واحد منهم علبة صغيرة فارغة من بقايا علب المعلبات أو المعجون أو الحليب، وفي داخلها شمعة بعد أن تملأ جوانبها ثقوبا ثم نضع لها ماسكة، ونحملها باعتبارها فوانيس، وتدور مجاميع الأطفال (أولاد وبنات) على أبواب الدور وتصرخ بأصوات طفولية مفعمة بالنشوة بالاندفاع والأمل (ماجينة يا ماجينة، حل الكيس وأعطونا).

وما زلت حتى الآن لا اعرف معنى كلمة (الماجينة). وأضاف: (أما اليوم فإن القليل من الأطفال يحملون الفوانيس الصغيرة الملونة المصنوعة من البلاستك التي تعمل بالبطارية التي يطلق عليها تندرا فوانيس العولمة الرمضانية). وأكدت ليلى علوان (معلمة) على أن الظروف الأمنية الصعبة التي نعيشها في هذه الأيام حرمتنا من الكثير من الطقوس الرمضانية الجميلة التي كنا نتلهف شوقا إليها من عام لآخر ومن بعضها اجتماع عائلتين أو أكثر من الأقارب على الإفطار خارج البيت أما على ضفاف شط العرب أو في احد حدائق المتنزهات تتخللها أحاديث السمر والفوازير والألعاب الرمضانية الجميلة).

وأشارت سندس فاضل (موظفة) إلى أن مدفع الإفطار، وهو التقليد من الموروث العذب، فقد معناه في السنوات الأخيرة قبل أن تقوم الحكومة بإلغائه حيث اختلط صوته بأصوات انفجارات السيارات الملغومة والعبوات الناسفة التي تنشر الموت والرعب بين العوائل ومصدر خوف وتوتر للأطفال، مشيرة إلى إن ما تبقى من طقوس رمضان التراثية مثل قص الجدات حكايات السمر للأحفاد ومن بينها قصص أبي زيد الهلالي والمياسة والمقداد وعنترة العبسي وبائعة اللبن وزرقاء اليمامة.

الألغاز والأحاجي في جلسات السمر الرمضانية

محمد مجيد

لم يكن لوسائل اللهو الحديثة كالتلفزيون والسينما والمسرح والملاهي وجود يذكر ايام زمان ولهذا فان السواد الاعظم من البغداديين يتسلون ويقضون لياليهم في جلسات سمر تقام في مقهى المحلة او الشارع وتحت ضوء فانوس الشارع ونور القمر المنير في ليالي الصيف الحار.

اما في ليالي الشتاء فان الجلسة تكون في الجامع خاصة ايام شهر رمضان المبارك او المناسبات الدينية، وفي بعض الاحيان تقام في احد بيوت المحلة حيث يجتمع شباب ورجال المحلة في ذلك البيت ويمضون لياليهم الشتوية في اجواء دافئة وممتعة خاصة بوجود منقلة الفحم وقواري الشاي البغدادي المهيل ودلة القهوة العربية ذات الرائحة العطرة فيشم الحاضرون رائحة تخدير الشاي مع رائحة القهوة الطيبة، فتنتعش نفوسهم وتريح اعصابهم المتعبة ويجعلهم ينسون هموم واتعاب اعمالهم ومشاكل الحياة اليومية وعادة ما يتولى عدد من رجال المحلة بسرد حكايات قديمة عن عنتر بن شداد او عن أبي زيد الهلالي وبطولاتهما بعدها يبدؤون بطرح الالغاز والاحاجي (الحزورات) ويبدأ الشباب الحاضرون بالمباراة فيما بينهم لمعرفة حل تلك الالغاز والاحاجي، وهنا تظهر القابليات الفكرية والقدرات الذكية، وبعد الانتهاء من حل هذه الالغاز يبادر البعض من الشباب ممن لديهم احجية او لغز جديد سمعه من أبيه او جدته في طرحه امام الحاضرين وترك الاجابة لهم. ويذكر أن هذه الجلسات تمتاز بتفرغ مادتها اذ انها لا تفتقر على الالغاز والإحاجي والحكايات وانما تتخللها أيضا قراءة الشعر الشعبي والابوذيات والاهازيج الشعبية الحماسية.

ويذكر لنا رجال من كبار السن من محلات بغداد القديمة بان جلسات السمر كانت تقام في محلات الفضل وباب الشيخ وقنبر علي والشواكة والكاظمية والاعظمية والجعيفر والكرادة.... وهذه الجلسات تعتبر آنذاك مكاناً للترويح ومتنفساً للبغداديين الذين يقضون نهاراتهم المتعبة بالعمل الشريف كاعمال البناء والزراعة والحدادة وغيرها، تجعلهم يشعرون بالبهجة والفرح وخاصة انهم يلتقون في هذه الجلسات مع اصحابهم واصدقائهم من ابناء المحلة كذلك تنمي فيهم القدرة الفكرية والتأملية في حل الالغاز والاحاجي ومن اشهر الالغاز والاحاجي المتداولة آنذاك:

١.طاسة ابطن طاسة وبالبحر غطاسة. ماهي؟
– القمر

٢. اسود اسود مثل الكير يكمز كمزات الخنزير؟
– البرغوث

٣. طير الطار لا له ريش ولا منكار. ماهو؟
– الدخان

٤.اشتري اسود واشربه احمر؟
– الشاي

٥ . اشتريته اخضر وحطيته احمر، ما هو؟
– الحناء

٦.مريم بنت عمران منو ابوها؟
–عمران

٧. كل ما تمشي بالنهار يمشي وياك وبالليل يفاركك، ما هو؟
– الخيال

٨. اسود سويداني بالسوق لاكاني عمامته خضره شفته وماحاجاني ما هو؟
– الباذنجان

٩. ديج واقف على حائط بينه وبين الجيران،إذا بيض لمن البيضة؟
– الديك لا يبيض

١٠. ست ملوك وعدنه كرسي واحد وين يكعدون؟
– هي واحدة واسمها ملوك

عادات الشعوب في رمضان

السودان

مثل كثير من الدول الإسلامية يترقّب الناس في السودان قدوم هذا الشهر الفضيل بفيض من الشوق والاستعداد، ويدخرون له ما طاب من المحاصيل الزراعية والبقوليات والتمر منذ وقت مبكر، وقبيل حلول الشهر الكريم يقوم السودانيون بشراء التوابل وقمر الدين ويقومون بإعداد مكونات شراب شهير يسمى (الحلومر) وهو يصنع من مواد عدة أهمها الذرة والتوابل وغيرها، وتحتوي المائدة السودانية على بعض الأكلات المقلية والحلويات و(العصيدة) والسلطات، وأنواع عديدة من المشروبات المحلية والعصائر المعروفة، فضلاً عن (سلطة الروب) والشوربة وغيرها من مكونات المائدة الرمضانية العامرة.

شيء مهم ولافت للنظر في العادات السودانية في رمضان وهو إفطار الناس في المساجد وفي الساحات التي تتوسط الأحياء، وعلى الطرقات تحسباً لوجود مارة ربما يكونون بعيدين عن منازلهم أو وجود عزّاب في الأحياء قد لا يتوفر لديهم الوقت لصنع الطعام بالطريقة التي يريدونها، فقبل الغروب بدقائق تجد الناس يتحلّقون في جماعات خلال لحظات الإفطار لاصطياد المارة ودعوتهم لتناول الإفطار معهم. وبعد الفراغ من الإفطار يتناولون القهوة ثم يقضون بعض الوقت قبل الذهاب إلى صلاة التراويح.

رمضان في إيران

اما ليالي شهر رمضان في طهران فأنها تختلف عن سائر أيام العام حيث تتجمع عائلات الأقارب والأصدقاء بعد الافطار في المقاهي الشعبية (سنتي) لتناول الشاي والشيشة وأنواع المكسرات والتمور .

للايرانيين علاقة خاصة بالدعاء خلال شهر رمضان وعندهم طقوس خاصة في قراءته والاستغراق في معانيه ودلالاته.

وتعمد الاسر الايرانية الي تناول الوجبة الرئيسة من الافطار بعد ساعة من أذان المغرب ولا تخلو المائدة الرمضانية الرئيسة هنا من (الآش رشته) وهو عبارة عن حساء دسم مليء بأنواع البقوليات والمعكرونة والخضراوات الورقية إضافة الى شوربة ماء اللحم ويسمى هنا (أبكوشت).

تشهد المطاعم هنا على غير العادة في الدول العربية ازدحاما شديدا بعد الاذان سيما تلك المطاعم التي تقدم لزبائنها ألاكلات ألايرانية الشعبية مثل الهريسة(حليم) والشوربة التي يلجأ اليها الصائمون وتعتبر طبقاً رئيسيا في رمضان في المطاعم، كما تنشط بصورة ملحوظة محال بيع الحلويات والمكسرات ومن أكثر الحلويات شهرة هنا هي الزلابية.

وتختلف العادات والتقاليد الرمضانية في ايران من مدينة إلى أخرى، ففي مدينة أصفهان التاريخية (وسط إيران) يفطر الصائمون على دوي المدفعية الرمضانية التي تقع بأحدى الساحات القديمة في المدينة.

وتعتبر الأكلة الرمضانية الشعبية الاكثر شهرة في مدينة أصفهان هى الباجة وهي عبارة عن لحمة رأس الخروف والهريسة وتسمى حليم ولا تخلو المائدة ألاصفهانية من الملح والبصل.